على لسان رئيس تحرير صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية، العام ١٩٥٣، حين كتب: «لقد أعطيت اسرائيل دوراً لا يختلف عن دور كلب الحراسة. ولا داعي للخوف من ان تمارس اسرائيل سياسة عدوانية تجاه الدول العربية تتعارض مع مصلحة الولايات المتحدة وبريطانيا. ولكن، اذا شاء الغرب، لسبب او لآخر، ان يغمض عينيه، فبالامكان الاعتماد على اسرائيل لتنزل عقاباً قاسياً بتلك الدولة المجاورة التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلّة أدبها تجاه الغرب».

أَلم يكن هذا ما فعلته اسرائيل بالضبط في العام ١٩٥٦، في العدوان الثلاثي على مصر؛ وفي العام ١٩٦٧، ضد مصر وسوريا والاردن؛ وفي العام ١٩٧٨ والعام ١٩٨٢ ضد لبنان ومنظمة التحرير؛ وفي العام ١٩٨١ ضد العراق (الغارة على المفاعل النووي)؟

وتكررت هذه المقولة في الصحيفة ذاتها العام ١٩٧٤ على لسان المعلّق الاسرائيلي يوئيل ماركوس، اذ كتب: «بسبب أزمة الطاقة وارتباط الدول الغربية، بشكل لم يسبق له مثيل، بدول النفط، يحتاج الغرب الى اسرائيل مثل الحاجة الى كلب حراسة ذي أسنان حادّة، مربوط بالسلاسل الاميركية الطويلة جداً، بحيث يؤذن له بغرس أسنانه، اذا تحدّوه أكثر من اللازم»(١٠).

تبقى هناك نقطة تحتاج الى بعض الاجلاء بالنسبة الى الطوائف اليهودية الاميركية، وهي حقيقة نفوذها الاقتصادي. فهذا الجانب، بالذات، تروى عنه احاديث وروايات أقرب الى الاساطير. والى هذا النفوذ المزعوم، بالذات، يعزى نفوذ اليهود وهيمنتهم التي ليس لها حدّ على مقدّرات الحياة الاميركية. ولقد بولغ في سرد وترويج هذه الاسطورة؛ وتدبيج المعلومات حولها، حتى بات المرء يشعر بالذهول والدهشة، ويتساءل عن سرّ هذه الأقلية التي لا تتجاوز ٢,٧ بالمئة من سكان الولايات المتحدة، التي استطاعت ان تهيمن على المقدرات الاقتصادية، والمالية، والمصرفية، لأغنى وأقوى دولة في العالم! بيد ان هذه الاسطورة لا تلبث ان تذوب كجبل من الملح حينما تتعرّض لماء الحقيقة، وحين نتناولها بالبحث والتدقيق.

بادىء ذي بدء، وكما قلنا بالنسبة الى نفوذ اليهود السياسي، أو الانتخابي، من الخطأ ان نعتبر اليهود الاميركيين كتلة اقتصادية. انهم، كأي طائفة، موزّعون على مختلف المهن والحرف والوظائف والاختصاصات. وهم موجودون في الريف، وفي المدينة. موجودون في المعامل الصغيرة والمؤسسات التجارية والمعاهد والمؤسسات العلمية والادارية، الخ. صحيح ان هناك يهوداً اغنياء ولهم نفوذ وتأثير اقتصادي، ولكنهم، بالنتيجة، ليسوا أكثر من سن في دولاب الاقتصاد الرأسمالي الاميركي العملاق.

ولا حاجة الى القول، بالطبع، ان مقابل وجود قلّة قليلة من الأغنياء، هناك كثرة كاسرة من الفقراء أو متوسطي الحال.

كتبت الكاتبة اليهودية نعومي كوهين: «ان اليهود الاميركيين لم يتمتعوا بقوة سياسية خاصة، وقد بولغ كثيراً في قوتهم الاقتصادية. صحيح انهم أصبحوا مجموعة ميسورة؛ ولكن ذلك عائد الى تركزهم في المدن، وانتمائهم الى فئة اصحاب الياقات البيضاء... ولقد لعبوا أدواراً هامة في عالم الصناعة الخفيفة والمنتجات والخدمات الاستهلاكية، ولكنهم كانوا غائبين، تماماً، عن تطوّر الصناعة الثقيلة. وحتى فترة قريبة، لم يكونوا يشاهَدون في المناصب الادارية»(١١).

وأشار الكاتب الصهيوني هوارد مورلي زاخر، في كتابه «مجرى التاريخ اليهودي المعاصر»، الى ان يهود الولايات المتحدة «لم يكونوا ذوي علاقات قوية بالصناعات الرأسمالية الأساسية، مثل الفحم والفولاذ والنفط والسيارات والسفن ووسائل الاتصالات، وهي الصناعات التي انتجت ثروة